دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 44، العدد 4، 2017

الوظائف النصية لعناصر الاتساق
"تطبيق على سورة هود"

*معاذ هزاع الزعبي**

ملخص

يعد البحث في الروابط النصية عموماً، الشكلية منها والمعنوية، أصلا يتكئ عليه الباحث في فهم النصوص فهما عميقا، حتى غدت الدراسات النصية بعد ذلك غير منفكة عن الاعتماد على هذه الروابط. ويأتي هذا البحث ليتناول الوظائف النصية التي تحققها الروابط الاتساقية في النص، بوصفها فرعا من فروع نحو النص، ومن هذه الوظائف: الاقتصاد اللغوي، والربط، والتوكيد، وتشكيل النص، والاتساع. وذلك من خلال وضع سورة هود بين يدي التحليل الاتساقي، على سبيل تقديمها أنموذجا للدراسات النصية التطبيقية للنص القرآني. وهذا التحليل قائم على إبراز أدوات الاتساق من عناصر إحالية، وحروف عطف، وتكرار، وتضام، ومقابلة، وعلى ملاحظة كيف تسهم هذه العناصر في جعل النص القرآني وحدة منسجمة تتصل فيه أجزاء النص، ويتماسك فيه كل مقطع بما يجاوره، بعناصر محكمة تذهب وتجيء؛ لترتبط ببؤرة النص أو نقطة انطلاقه.

الكلمات الدالة: سورة هود، وظائف نصية، اتساق.

المقدمة

يشهد البحث اللغوي تطوراً لافتاً في عصرنا؛ لتعدد النظريات والاتجاهات التي تهتم باللغة وأنظمتها وخصائصها، وتهدف هذه النظريات إلى تقديم تفسير واضح لمختلف الظواهر اللغوية من أجل خدمة اللغة. فاللغة التي هي ظاهرة إنسانية، تتعلق بحياة الفرد والجماعة؛ شهدت اهتماماً متزايداً من الباحثين والدارسين؛ ويتجلى ذلك في عدد من المناهج المقترحة لدراستها. ومن أحدث هذه المناهج: اللسانيات النصية، وهو منهج يدرس النص دراسة شمولية، تتجاوز حدود المفردات، بل تتجاوز حدود الجملة، حيث تُعنى بدراسة النص دراسة متكاملة، باعتباره البنية الكبرى للغة.

ولسانيات النص تمكنت من بلوغ محطات متقدمة لم تستطع لسانيات الجملة الوصول إليها؛ فقد استطاعت تحديد العلاقات التي تربط بين الجمل وأجزاء النصوص سواء على المستوى النحوي أو المعجمي أو الدلالي.

ونحو النص، بوصفه من أبرز المنهاج اللسانية، يتعامل مع النص على أنه بنية متكاملة، يدرس من خلال هذه البنية الروابطَ التي تنظم النص وتؤدي إلى نصيته، وذلك بإدراك عملية الترابط داخل النص، وهي عملية "تتطلب قدرة على النظر الشامل، وتستلزم دقة في تلمّس العلاقات المتشابكة، وتحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة" (أبو المكارم، 1968). وهذا هو المنهج النصي الحديث، فهو ينظر إلى النص باعتباره كلا موحدا مترابط الأجزاء محبوكها.

ولمّا كان النص المتماسك يعتمد على الروابط كان لا بد من الإشارة إلى تعدد هذه الروابط وتنوعها بين روابط شكلية كالعطف، وروابط معنوية كالإسناد، وكل هذه الروابط تؤدي إلى تماسك النص. ويعنى هذا البحث بالروابط الشكلية حسبُ، ومنها: الإحالة، والتكرير، والتضام، والعطف، والحذف.

ولأن "نحو النص" نشأ أساسا لخدمة النص؛ اخترت في هذا البحث القرآن الكريم ليكون موضِع الدراسة؛ لاستيفائه القواعدَ العامة للبناء اللغوي، ولاستثماره إمكانات اللغة إلى أقصى غاية. ومن القرآن اخترت مقاطع محددة من سورة هود، بغية الإيجاز، إضافة إلى تحقيقها المقصد من هذا البحث.

أولاً: في مفهوم الاتساق:

من المعلوم أن حداثة "لسانيات النص" عمومًا من حيث كونُها علمًا، وعدم وضوح مفاهيمها خصوصًا، أدى إلى غموضٍ انسحب إلى بعض مصطلحاتها؛ فالمتخصصون في "لسانيات النص" بذلوا جهودا كبيرة من أجل تحديد مفهوم دقيق للاتساق وغيره من المصطلحات، كالتماسك والانسجام، وسبب

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2016/02/11، وتاريخ قبوله 2016/03/07.

© 2017 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

ذلك أن كل باحث ينظر إلى المصطلح من الزاوية التي يريد الوصول من خلالها إلى مبتغاه، فضلاً عما وقع فيه كثيرٌ من المشتغلين بالترجمة من الأخطاء العلمية التي ينبني عليها اختلاف في الأحكام، لهذه الأسباب وغيرها كان لا بد من تحديد المفهوم الدقيق لمصطلح "الاتساق" التي ينطلق منه هذا البحث؛ لأن المصلح دالّ على المفهوم.

ومصطلح "الاتساق" من المصطلحات التي خفي معناها على بعض الدارسين؛ إذ وُجدت دراسات في "اللسانيات" حمّلت مصطلح "الاتساق" ما لا يحتمله من الدلالة؛ فمنهم من جعل "الاتساق" يشتمل على الروابط الشكلية والمعنوية، ومنهم من جعل "الاتساق" أخص من ذلك.

ولعلّ من أوائل الذين حدّوا مصطلح الاتساق، الباحثَين "هاليداي" و"رقية حسن"؛ بقولهم إنه: "مجموعة من الأدوات اللغوية التي تملكها كل لغة للربط بين جزء من النص مع الآخر"، "ومن هذه الأدوات، الإحالة، والوصل، والاستبدال، والحذف" (Haliday and Hasan, 1989) وواضح مما قدما أن الاتساق يختص بالروابط الشكلية في النص فقط.

كما أن الخطابي بين في "لسانيات النص" مفهوم "الاتساق" بقوله: "الاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويُهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته" (خطابي، 1991).

فالاتساق وفقا للخطابي، مرتبط أيضا بالجانبي الشكلي للتماسك، أما الانسجام، وهو الجانب الآخر للتماسك، فإنه مرتبط بالجانب الدلالي (المعنوي)، "حيث يتطلب الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تُنظِّم النص وتُولّده". (خطابي، 1991).

وقد أشار إلى التقسيم السابق صبحي إبراهيم الفقي في قوله:" ولا يخفى أن معنى "cohesion" يرتبط بالروابط الشكلية، عكس المصطلح "coherence" الذي يرتبط بالروابط الدلالية". (الفقي، 2000).

في ضوء ما سبق، ينطلق البحث من كون الاتساق مرتبطا بالجانب الشكلي للتماسك النصي، وعليه: فالاتساق هو: الربط بين الجمل وبين مقاطع النص، باستخدام العناصر اللغوية الشكلية الظاهرة، وتتنوع هذه العناصر بين أدوات نحوية مثل الإحالة، والعطف، والحذف، وبين أدوات معجمية مثل التكرير، والتضام.

فالإحالة أولى الأدوات التي يذكرها الباحثون عند حديثهم عن أدوات الاتساق؛ لما لها من أهمية في الربط بين أجزاء النص، إضافة إلى تعدد مفرداتها كالضمائر وأسماء الإشارة.

وتقوم فكرة الإحالة على الجمع بين السابق واللاحق في النص، وهذا يؤدي إلى اتساق النص، من خلال تقريب المسافات بين العناصر الإحالية داخل النص. "وتقوم عملية الإحالة على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر" (الزناد، 1993).

أما العطف فيستند إلى فكرة الجمع بين جمل النص من خلال مجموعة من الحروف المنتشرة في النص.

والحذف كما عبر عنه المتقدمون: "إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل" (الزركشي، 1988). وقد عبر دي بوجراند عنه بقوله: "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يُوَسَّع أو يُعَدَّل بواسطة العبارات الناقصة، [...وأطلق عليه تسمية] الاكتفاء بالمبنى العدمي" (بوجراند، 1988) ففي الجملة المحذوفة نجد "فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة السابقة لها، أو النص السابق لها" (خطابي، 1991) ولا بد لهذا الفراغ من دليل في النص يدل عليه.

والتكرير – في الدراسات النصية – "يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورودَ مرادف له أو شبه مرادف (1991).

أما التضام فهو علاقة عامة تشترك فيها كلمتان أو أكثر بإطار عام، ويشمل التطابق والترادف والجناس...

ثانياً: الاتساق في الفكر اللغوي القديم

يفرض المنهج اللساني، في مثل هذه الدراسات، المزاوجةَ بين القديم والحديث، ولا غرابة في أن تقوم دراسات كثيرة، في العصر الحديث على ما أنتجه القدماء في مختلف العلوم؛ فالتراث العربي يعد منظومة واحدة، يحتاج إليها كل باحث في وقتنا الحاضر. والدراسات النصية واحدة من العلوم التي عكف عليها علماء النص وباحثوه، ووجدوا من خلال بحثهم في كتب التراث إشارات كثيرة ومتنوعة يتصل بها علم النص الحديث، وعلى وجه الخصوص: علم البلاغة، والتفسير، والنحو. والبحث اللغوي الحديث على ثقة بأن الجذور الأولى لعلم النص موجودة في التراث اللغوي.

فمن حيث المفهوم ذكر الجرجاني "الاتساق" في كلامه عن قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يا أَرضُ ابلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقلِعي وَغيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَاستَوَت عَلَى الجودِيِّ وَقيلَ بُعدًا لِلقَومِ الظّالِمينَ﴾ (هود44). يقول: "فتجلّى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع! أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا، إلى أن تستقرِيَها

إلى آخرها وأن الفضل تَتَاتَجَ ما بينها وحصل من مجموعها؟[...] كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب" (الجرجاني، 1992).

وقد أشار الجرجاني إلى بعض مفردات الاتساق في تعليقه على أبيات للبحتري في قوله: "فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازًا في نفسك، فعد فانظر في السبب، واستقصِ في النظر، فإنَّك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدَّم وأخر، وعرَّف ونكَّر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرَّر، وتوخَّى على الجملة وجهًا من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله، ثم لطف موضع صوابه، وأتى مأتىً يوجب الفضيلة" (الجرجاني، 1992). فالحذف والإضمار والتكرير في عبارة الجرجاني عناصر رئيسة من عناصر الاتساق النصي.

وفي "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي عبارات تدل على معالجته للنصوص وتحليلها على وفق المفاهيم التي انطلق منها علماء النص حديثاً، يقول: "وأحسن الشعر ماينتظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله [... و] يجب أن تكون القصيدة كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة، وجزالة الألفاظ، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا تقتضي كل كلمة مابعدها، ويكون مابعدها متعلقاً بها مفتقراً إليها" (ابن طباطبا، 1982).

وقد وعى القدماء أن أجود الكلام ما كان متسقا محبوكا، ولا أدلّ على ذلك من قول الآمدي في موازنته: "وإذا جاء لطيف المعاني في غير ملاءمة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن، كان ذلك مثل الطراز الجديد على الثوب الخلق، أو نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه" (الآمدي، 1972).

أما ما يتعلق بموقف النحاة من الاتساق النصي، فقد أدرك النحويون وجود علاقة بين النص والسياق الذي يقال فيه. يقول سيبويه في باب "ما يضمر فيه الفعل المشتمل إظهاره في غير الأمر والنهي": "وذلك قولك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج، قاصدا في هيئة الحاج، فقلت: مكةَ ورب الكعبة. حيث زكَنْتَ أنه يريد مكة، كأنك قلت: يريد مكة والله" (سيبويه، 1983). فسيبويه قدر كلاما محذوفا مستندا على الموقف والمقام. ولو أخذنا المثال الذي أورده سيبويه مجردا من الأوصاف التي قدمها للحاج، من أنه يلبس لباس الحاج، ويتجه إلى مكة، لما فُهم النص الفهم السليم.

وقد علل بعض النحويين أسباب الترابط النصي، وما له من أثر في صحة المعنى؛ يقول ابن يعيش: "قد تقدم قولنا أن خبر المبتدأ إذا وقع جملة فعلية كانت أو اسمية أو شرطية أو ظرفية، فلا بد فيها من ضمير يرجع إلى المبتدأ يربطها بالمبتدأ، لئلا تقع أجنبية من المبتدأ إذا كانت غير الأول" (ابن يعيش، د.ت) فالضمير في جملة الخبر يربط الجملة الفعلية بالمبتدأ، ولو تخيلنا الجملة دون ضمير لصار المبتدأ والخبر متنافرين لا يحققان معنى.

ومن الذين تحدثوا عن بعض مفردات "الاتساق" السيوطي في كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، إذ كتب فصلاً تحت عنوان "قواعد يحتاج إليها المفسر" فهو بهذا العنوان يشي بأهمية هذه القواعد في فهم النص القرآني. وقد ابتدأ السيوطي هذه القواعد بالكلام عن الضمير، حيث أورد في بابه تفصيلا عن مرجعية الضمير، وتقدُّم المرجع على الضمير أو تأخره عنه، وكون المرجع مذكورا أو غير مذكور. والضمير – بهذا الطرح– يحتل مكانا بارزا في الدراسات النصية الحديثة. ومن الأمثلة التي ذكرها السيوطي على المرجع المتأخر لفظاً ورتبة قوله تعالى: "فأوجس في نفسه خيفة موسى" (طه 67)، فالضمير في "نفسه" يعود على كلمة "موسى" في نهاية الآية، وهذا يسمى عند النصيين إحالة بعدية (ينظر: السيوطي، 1993)

ولا يُغفلَ، في هذا الجانب، جهد علماء التفسير؛ فقد ورد في مصنفاتهم إشارات كثيرة تتعلق بنحو النص، فالقرآن العظيم نص معجز صالح لكل زمان ومكان، وهو متجدد القراءة والفهم، وقد وعى بعض المفسرين ارتباط آي القرآن وتماسكها، ويعدّ كتاب البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" من أهم ما صنف في بابه، حيث يحاول البقاعي الربط بين الآيات، سواء الربط على مستوى السورة الواحدة، أم الربط على مستوى السور المتتالية.

وقد عُني البقاعي في تفسيره بربط الجمل بعضها ببعض، فضلا عن الربط داخل الجملة المستقلة؛ يقول: "وهذا العلم [يقصد علم المناسبات] يكشف أن للإعجاز طريقتين: أحدهما [الصواب: إحداهما] نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً" (البقاعي، 1995) فهو يتبنى القول بأن إعجاز القرآن هو بنظمه الفريد، والنظم – كما بيّن– يكون داخل الجملة الواحدة، ويكون بين الجمل المتعددة.

وبعد، كانت المقولات السابقة نماذج من إشارات متفرقة تدل على أن نظرة القدماء لم تكن مقصورة على نحو الجملة، إنما تجاوزت الجملة الواحدة لتضعها في مكانها من النص. والحق يقال؛ فالقدماء لم يضعوا نظرية متكاملة لنحو النص كما وضعها المحدثون، وإنما كانت عبارات متناثرة في طيات كتبهم تدلنا على وعيهم بنحو النص.

ثالثاً: وظائف الاتساق

تعددت الدراسات حول موضوع "عناصر الاتساق" في نحو النص، وكان تركيز الباحثين على ما يسمى بالبعد الظاهر لهذه العناصر حسبُ، مستنتجين أنها تحقق الاتساق على مستوى النص. على أنهم لم يعطوا الجانب الوظيفي لعناصر الاتساق حقه من البحث والدراسة، إنما جاءت دراساتهم في هذا الجانب أقرب إلى التنظير منها إلى التطبيق دون بيان لصفة هذا الاتساق، ودونما بيان لوظائف هذه العناصر في تماسك النص.

وأدوات الاتساق تحقق وظائف عامة متعددة، تشترك فيها، أحيانا، أكثر من أداة لجعل النص متماسكا من جهة، ومن جهة أخرى لتخدم مستخدم اللغة – عموماً– لتحقيق أغراضه في الكلام.

فاللغة العربية، على سنن اللغات الحية، لها طرائقها اللغوية التي تحقق الهدف الأسمى للغة وهو التواصل، وتشمل كثيرا من الوظائف التي تخدم مستخدمي اللغة مثل التوسعة والاقتصاد وغيرها من الوظائف التي تتسم بالسهولة والجهد الأدنى. وفي الآتي بعض هذه الوظائف:

الوظيفة الأولى: الاقتصاد اللغوي:

اعتاد الإنسان إذا أراد أن يصل إلى غاية معينة أن يسلك إليها أسهل الطرق وأيسرها، وذلك لتحقيق الاقتصاد في الجهد والوقت. والعربية – كغيرها من اللغات– تسعى لتحقيق الاقتصاد في الأداء اللغوي من خلال استخدام أساليب لغوية تحقق هذه الوظيفة. وما التخفيف والإيجاز اللذان نقرأهما في كتب المتقدمين من أهل اللغة إلا مظهران من مظاهر الاقتصاد في كلام العرب.

ومن عناصر الاتساق التي تؤدي إلى الاقتصاد اللغوي الإحالة الضميرية، ونجد الإشارة إلى ذلك بصورة جلية عند المتقدمين، فقد أشار ابن يعيش إلى الاقتصاد اللغوي عند كلامه عن وظائف الضمير في النص بقوله: "وإنما أتي بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز، واحترازا من الإلباس. فأما الإيجاز فظاهر، لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكماله، فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم، وأما الإلباس فلأن الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك، فإذا قلت (زيد فعل زيد) جاز أن يُتوهم في (زيد) الثاني أنه غير الأول"(ابن يعيش، د.ت).

والمدقق في كلام ابن يعيش يدرك مقصوده من أن الضمير وسيلة من وسائل اقتصاد اللغة ورفع اللبس؛ ذلك أن الضمير يغني مرسل النص عن تكرير ألفاظ أو مقاطع من الكلام.

وقد أشار الزناد إلى مبدأ الاقتصاد في الإحالة بقوله: "تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة. وهذا مدخل الاقتصاد في نظام المعَوّضات، في اللغة، إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتُجَنّب مستعملها إعادتها وتكرارها" (الزناد، 1993).

ومن أمثلة الاقتصاد اللغوي الذي تحققه الإحالة في سورة هود، قوله تعالى: ﴿وَيَصنَعُ الفُلكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيهِ مَلَأٌ مِن قَومِهِ سَخِروا مِنهُ قالَ إِن تَسخَروا مِنّا فَإِنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرونَ﴾ (هو38). فالضمائر في الآية السابقة عناصر إحالة نابت عن أسماء، والألفاظ الإشارية المحال إليها واضحة مفهومة في السياق اللغوي الذي وردت فيه الآية، فقد ورد اللفظ الإشاري "نوح" في آية سابقة لها، وهي قوله تعالى: ﴿وَأوحِيَ إِلى نوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إِلّا مَن قَد آمَنَ فَلا تَبتَئِس بِما كانوا يَفعَلونَ﴾ (هود٣٦)، وقد تحقق الاقتصاد اللغوي في الآية "38" في مواضع متعددة حيث ناب الضمير عن أسماء أوردها في الجدول (1):

الجدول (1)

الرقم	التركيب	الضمير	اللفظ الإشاري	الوظيفة
1	يصنع	مستتر	نوح	الاقتصاد
2	عليه	الهاء	نوح	الاقتصاد
3	قومه	الهاء	نوح	الاقتصاد
4	سخروا	الواو	ملأ من قومه	الاقتصاد
5	منه	الهاء	نوح	الاقتصاد
6	قال	مستتر	نوح	الاقتصاد
7	تسخروا	الواو	ملأ من قومه	الاقتصاد
8	منّا	نا المتكلمين	نوح	الاقتصاد
9	إنّا	نا المتكلمين	نوح	الاقتصاد
10	نسخر	مستتر	نوح	الاقتصاد
11	منكم	كاف الخطاب	ملأ من قومه	الاقتصاد
12	تسخرون	الواو	ملأ من قومه	الاقتصاد

الجدول (2)

الرقم	العنصر الإشاري	العنصر الإحالي	الرقم	العنصر الإشاري	العنصر الإحالي
1	رسلنا	قالوا (واو الجماعة)	2	إبراهيم	قال (الضمير المستتر)
3	إبراهيم	لبث(الضمير المستتر)	4	إبراهيم	جاء(الضمير المستتر)
5	إبراهيم	رأى(الضمير المستتر)	6	رسلنا	أيديهم(هم)
7	رسلنا	تصل(الضمير المستتر)	8	إبراهيم	إليه(الهاء)
9	إبراهيم	نكرهم(الضمير المستتر)	10	رسلنا	نكرهم(هم)
11	إبراهيم	أوجس(الضمير المستتر)	12	رسلنا	منهم(هم)
13	رسلنا	قالوا(واو الجماعة)	14	إبراهيم	لاتخف(الضمير المستتر)
15	رسلنا	إنا(نا)	16	رسلنا	أرسلنا(نا)
17	إبراهيم	وامرأته(الهاء)			

يتجلى مبدأ الاقتصاد في الآية السابقة في عدد الضمائر التي تحيل إلى "نوح" عليه السلام، فهي ثمانية ضمائر تحيل إلى لفظ إشاري واحد في آية واحدة، وهذه الكثرة تسهم بصورة كبيرة في اتساق النص من خلال عودتها إلى مرجعية واحدة؛ فهي تجعل النص بنية واحدة من أوله إلى آخره.

ويَبرز دور "اسم الإشارة" في تحقيق وظيفة "الاقتصاد اللغوي"، في القصص القرآني، بصورة جلية، ذلك أن "اسم الإشارة" يختصر قصة كاملة عندما يأتي في نهاية قصة أو مجموعة من القصص. ويرد اسم الإشارة عادة في نهاية القصة ليشي بالحكمة من هذه القصة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿تِلكَ مِن أَنباءِ الغَيبِ نوحيها إِلَيكَ ما كُنتَ تَعلَمُها أَنتَ وَلا قَومُكَ مِن قَبلِ هذا فَاصبِر إِنَّ العاقِبَةَ لِلمُتَّقينَ﴾ (هود49). فاسم الإشارة "تلك" أحال إلى قصة نوح بأكملها، ولولا وظيفة الاقتصاد في اسم الإشارة للجأ النص القرآني إلى التكرير.

ويتحقق "الاقتصاد اللغوي" من خلال علاقة الحذف في الكلام؛ إذ يتم اختصار جزء من الكلام، مع دلالة السياق العام من الكلام عليه. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَنادى نوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابني مِن أَهلي وَإِنَّ وَعدَكَ الحَقُّ وَأَنتَ أَحكَمُ الحاكِمينَ﴾ (هود45). فقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: "إن ابني من أهلي" حُذِف ما بعده، وتقديره: "أهلي الذين وعدتني أن تنجيهم". إشارة إلى وعد الله له بأن ينجي أهله في موضع سابق من السورة: حَتّى إِذا جاءَ أَمرُنا وَفارَ التَّنّورُ قُلنَا احمِل فيها مِن كُلٍّ زَوجَينِ اثنَينِ وَأَهلَكَ إِلّا مَن سَبَقَ عَلَيهِ القَولُ وَمَن آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلّا قَليلٌ ﴿٤٠﴾. فتحقق الاقتصاد من خلال الحذف، على أن هذا الحذف لا يؤثر في الخطاب؛ إذ المستقبل للنص يدرك الحذف من خلال النظرة الكلية للنص.

والعطف كذلك أداة اتساقية تحقق الاقتصاد اللغوي، وذلك من خلال الاستغناء عن إعادة العامل في الاسم المعطوف. ومثاله قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعضَ ما يوحى إِلَيكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدرُكَ أَن يَقولوا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ كَنزٌ أَو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنتَ نَذيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ﴾ (هود12). فواو العطف في (وضائق) أغنت عن ذكر العامل (لعلك) مرة أخرى.

الوظيفة الثانية: الربط:

النص إنتاج لغوي مترابط وليس مجرد رصف للكلمات والجمل. فرصف الكلمات ليس دليلا على تلاحمها، إذ قد نجد كلمات كثيرة في نص لكن ليس لها وظيفة نصية. ومعلوم أن الهدف الأسمى للغة هو التواصل، والتواصل لا يتحقق إلا إذا فُهم المغزى من النص، ولا يُفهم المغزى من النص –غالبا– إلا إذا كان النص مترابطاً، بحيث يكون النص ذا تراكيب متسقة لا متقطعة الأوصال.

والربط النصي وظيفة عامة تتحقق من خلال أدوات لغوية كثيرة، لكن ما يعنينا في هذه الدراسة الربط المتحقق من خلال الأدوات الاتساقية التي أشرت إليها في بداية البحث. وتتحقق وظيفة الربط داخل النص بوساطة حروف العطف، وغالبُ حروف العطف تقتضي إشراك ما بعدها بما قبلها في الحكم، إذن، فإنها تجمع ما قبلها بما بعدها لتحقق الاتساق في النص.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ولا أَقولُ لَكُم عِندي خَزائِنُ اللَّهِ وَلا أَعلَمُ الغَيبَ وَلا أَقولُ إِنّي مَلَكٌ وَلا أَقولُ لِلَّذينَ تَزدَري أَعيُنُكُم لَن يُؤتِيَهُمُ اللَّهُ خَيرًا اللَّهُ أَعلَمُ بِما في أَنفُسِهِم إِنّي إِذًا لَمِنَ الظّالِمينَ﴾. فالواو العاطفة في الآية تكررت غير مرة مؤدية وظيفة الربط في الآية، ومقوية أوصال الكلام، وجاعلة الكلام منتظما. ولولا الربط الذي حققته (الواو) في الآية لنشأ في النص تجاورٌ لعناصرَ لغوية ولخفيت العلاقة الكلية التي تجمعها.

ويتحقق الربط في عطف المفردات بعضها على بعض، فضلا عن عطف الجمل، مع العلم أن العطف بين الجمل يؤدي إلى الاتساق بصورة أقوى من العطف بين المفردات، لأن

الجمل تكوّن أجزاء كبرى في النص؛ فهي مدعاة للتلاحم والتعاضد.

ولا يُغفَل دور الربط المتحقق من خلال العطف بين المفردات؛ لاشتراك هذه المفردات في الإعراب والحكم، من ذلك قوله تعالى: ﴿وما مِن دابَّةٍ فِي الأَرضِ إلّا عَلَى اللَّهِ رزقُها وَيَعلَمُ مُستَقَرَّها وَمُستَودَعَها كُلٌّ في كِتابٍ مُبين﴾. فالواو العاطفة بين (مستقرها ومستودعها) أشركت الكلمتين في الإعراب، فجعلت المعطوف على المفعول به (مستودعها) مفعولاً به.

وتتجاوز حروف العطف الربط بين المفردات والجمل إلى الربط بين المقاطع المتباعدة، ويتجلى ذلك في سورة (هود) من خلال الربط بين قصص الأنبياء التي تشكل مفاصل السورة، حيث تشكل كل قصة من قصص السورة مقطعاً فرعياً.

وقصص الأنبياء في سورة (هود) تبدأ بقصة نوح عليه السلام، وبدايتها قوله تعالى: ﴿وَلَقَد أَرسَلنا نوحًا إلى قَومِهِ إنّي لَكُم نَذيرٌ مُبينٌ﴾ (هود25). ثم عطف على هذا المقطع قصة هود، وبدايتها قوله تعالى: ﴿وَإلى عادٍ أَخاهُم هودًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إلهٍ غَيرُهُ إن أَنتُم إلّا مُفتَرونَ﴾ (هود50)، فواو العطف في بداية المقطع الثاني (وإلى عاد) عطفته على المقطع الأول. أي: وأرسلنا إلى عاد، فقد ربطت الواو بين المقطعين، إضافة إلى الدور الذي أدته أدوات اتساقية أخرى كالحذف والتكرير، وقد حذفت (أرسلنا) في كل المقاطع التي تلي المقطع الأول اكتفاء بذكرها في أول مقطع من السورة. وسار العطف في المقاطع القصصية الأخرى من السورة بالطريقة نفسها.

والمتأمل في سورة (هود) يجد السورة نسيجا واحداً، وما ذاك إلا بسبب تضافر عناصر الاتساق في السورة، سواء كانت هذه العناصر داخل الجملة الواحدة، أم كانت بين الجمل المتباعدة.

ومن الأدوات الاتساقية التي تحقق وظيفة الربط، الإحالة. ومعلوم أن الإحالة تختلف من حيث مداها؛ فبعضها يقف في حدود الجملة الواحدة ليربط بين عناصرها وتسمى (إحالة قريبة المدى)، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى جمل متعددة في النص وتسمى (إحالة بعيدة المدى).

فمن الأمثلة على الربط المتحقق من خلال الإحالة قريبة المدى، قوله تعالى: ﴿وَإلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إلهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها فَاستَغفِروهُ ثُمَّ توبوا إلَيهِ إنَّ رَبّي قَريبٌ مُجيبٌ﴾ (هود61). فالضمير في (أخاهم) يحيل إلى (ثمود)، ليربط بينهما ويسهم في تحقيق الاتساق.

أما الإحالة بعيدة المدى فإنها تحقق الربط النصي بين الجمل بصورة أكبر من الربط داخل الجملة الواحدة، من ذلك قوله تعالى: وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إبراهيمَ بِالبُشرى قالوا سَلامًا قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَن جاءَ بِعِجلٍ حَنيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمّا رَأى أَيدِيَهُم لا تَصِلُ إلَيهِ نَكِرَهُم وَأَوجَسَ مِنهُم خيفَةً قالوا لا تَخَف إنّا أُرسِلنا إلى قَومِ لوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَت فَبَشَّرناها بِإسحاقَ وَمِن وَراءِ إسحاقَ يَعقوبَ ﴿٧١﴾ (هود).

ففي الآيات الثلاث السابقة برز دور الإحالة في تحقيق الربط النصي، فقد ورد في قوله تعالى: "وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إبراهيمَ" العنصر الإشاري (رسلنا) والعنصر الإشاري (إبراهيم) وأحيل إليهما بعدد من الضمائر أوردها في الجدول (2).

في الجدول (2) ورد العنصر الإشاري (رسلنا) مرة واحدة، وأحيل إليه بالضمير ثمانِ مرات. وورد العنصر الإشاري (إبراهيم) مرة واحدة، وأحيل إليه تسع مرات. وقد أسهم عنصر الإحالة في الربط بين أجزاء الآيات الثلاث وجعلها كالجزء الواحد. إضافة إلى التنظيم والترتيب الذي أحدثته هذه الإحالات في النص.

الوظيفة الثالثة: التوكيد:

يقترن الحديث عن وظيفة التوكيد بالتكرير المعجمي، حيث تتكرر اللفظة مرة أو أكثر داخل النص لتأكيد فكرة أو قضية معينة. فلنتأمل –مثلا– قوله تعالى في المواضع الآتية: ﴿وَلَمّا جاءَ أَمرُنا نَجَّينا هودًا وَالَّذينَ آمَنوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنّا وَنَجَّيناهُم مِن عَذابٍ غَليظٍ﴾ (هود58)...﴿فَلَمّا جاءَ أَمرُنا نَجَّينا صالِحًا وَالَّذينَ آمَنوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنّا وَمِن خِزيِ يَومِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزيزُ﴾ (هود66)...﴿وَلَمّا جاءَ أَمرُنا نَجَّينا شُعَيبًا وَالَّذينَ آمَنوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنّا وَأَخَذَتِ الَّذينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةُ فَأَصبَحوا في دِيارِهِم جاثِمينَ﴾ (هود94).

نلحظ في الآيات السابقة تكرير عبارة (ولما جاء أمرنا نجّينا)، وتكريرها في نهاية قصص الأنبياء يؤكد أن الله سينجي من يتبعون أنبياءهم، وفي تكريرها إشارة إلى أتباع محمد عليه السلام، فمصيرهم كمصير الأمم السابقة؛ إن أطاعوه نجوا، وإن خالفوه هلكوا. وتكرير كلمة (رحمة) في الآيات السابقة، يؤكد أن جميع من يدخلون الجنة لا يدخلونها بأعمالهم ولكن برحمة الله لهم.

وبعض الآيات تختلف في طرق الأداء، وأصل المعنى واحد، ويكثر ذلك بعد القصص، وما ذاك إلا لتوكيد بعض المعاني الواردة حسب سياق الآية، فبعد ذكر قصة أو مجموعة من القصص نجد آية تدعو النبي عليه الصلاة والسلام إلى الصبر والثبات على الدعوة، والتكرير في هذه المواطن تكرير معنوي، يؤكد الحكمة من ذكر قصص الأنبياء، وهي تسلية النبي عليه الصلاة والسلام مما يعانيه من قومه من عداوة وعناد؛ يقول تعالى: ﴿تِلكَ مِن أَنباءِ الغَيبِ نوحيها إلَيكَ ما كُنتَ

تَعلَمُها أَنتَ وَلا قَومُكَ مِن قَبلِ هذا فَاصبِر إِنَّ العاقِبَةَ لِلمُتَّقينَ﴾ (هود49)... ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيكَ مِن أَنباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ في هذِهِ الحَقُّ وَمَوعِظَةٌ وَذِكرى لِلمُؤمِنينَ﴾ (هود120). فالآيتان تتحدثان عن معنى واحد، هو دعوة النبي عليه السلام للصبر على الصعوبات التي يواجهها، فالأنبياء قبله جوبهوا بكل أنواع المعارضة وصبروا على ذلك. "وربما كررت [أي الآيات] ثالثاً ورابعاً توكيداً لذلك وتمكينا للاعتبار بضروب البيان، وتصبيرا للنبي عليه الصلاة والسلام على أذى قومه حالاً فحالاً، فإن قيل: فما بالها تأتي تارة في غاية البسط وتارة في غاية الإيجاز، وتارة على الوسط؟ قيل: هذا من أعلى درجات البلاغة، وأجلّ مراتب الفصاحة والبراعة" (البقاعي، 1995).

ويصل التوكيد أعلى درجاته حين تتكرر الإشارة إلى فكرة معينة، من خلال تكرير أبنية متماثلة في الخطاب، ونلحظ ذلك جليا في سورة هود بصور متعددة؛ منها الحفاظ على البنية المقطعية في القصة القرآنية في السورة. ومن ذلك تكرير مقدمات القصص القرآنية، كقوله تعالى في بداية قصص كل من هود وصالح وشعيب عليهم السلام: وَإِلى عادٍ أَخاهُم هودًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ إِن أَنتُم إِلّا مُفتَرونَ ﴿٥٠﴾... وَإِلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها فَاستَغفِروهُ ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي قَريبٌ مُجيبٌ ﴿٦١﴾... وَإِلى مَدينَ أَخاهُم شُعَيبًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ وَلا تَنقُصُوا المِكيالَ وَالميزانَ إِنّي أَراكُم بِخَيرٍ وَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ مُحيطٍ ﴿٨٤﴾.

فقد تكرر المقطع: (وإلى ... أخاهم ... قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)؛ وهذا التكرير يؤكد أن دعوة الأنبياء واحدة، ويربط النص القرآني ببعضه من خلال إعادة التشكيل المقطعي للقصة غيرَ مرة.

ولا مندوحة من الإشارة إلى أن جانب التحدي يبرز بصورة جلية في قصص الأنبياء، فمن المعلوم أن القرآن تحدى العرب أن يأتوا بمثله أو ببعضه، رغم ما فيه من قصص متشابهة، وهذا مدعاة للإعجاز، فالقصص القرآنية تتكرر بصورتها العامة دون وجود أدنى تعارض بينها؛ يقول ابن فارس: "فأما تكرير الأخبار والقصص في كتاب الله جل ثناؤه فقد قيلت فيه وجوه. وأصح ما يقال فيه: إن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وعجْزَ الأقوام عن الإتيان بمثله آية لنبوة محمد عليه السلام، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظمٍ جاء وبأي عبارة عبّر. فهذا أولى ما قيل في هذا الباب" (ابن فارس، 1997).

وتتحقق وظيفة التوكيد بوساطة إجراء الإحالة، خصوصا في الإحالة المتحققة من خلال ضمير الفصل، ومن أمثلتها في سورة هود، قوله تعالى: ﴿فَلَمّا جاءَ أَمرُنا نَجَّينا صالِحًا وَالَّذينَ آمَنوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنّا وَمِن خِزيِ يَومِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزيزُ﴾ (هود66). فضمير الفصل (هو) يؤكد قوة الله وعزته، فهو ينجي من يطيعونه ويتبعون أوامره.

وتبرز وظيفة التوكيد في الإحالة الضميرية حالَ تكرير الضمير المنفصل، وذلك كقوله تعالى: ﴿الَّذينَ يَصُدّونَ عَن سَبيلِ اللَّهِ وَيَبغونَها عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُم كافِرونَ﴾ (هود 19). فالضمير الأول (هم) ركن من أركان الكلام، أما الضمير (هم) الثاني فهو تكرير للضمير الأول، ووظيفة التكرير في هذا الموطن توكيد كفر بعض الأصناف من الناس، بسبب كبائر الذنوب التي ارتكبوها وإصرارهم عليها.

الوظيفة الرابعة: تشكيل النص:

كان يتبادر إلى الذهن تسمية هذه الوظيفة (ترتيب النص) بدلا من (تشكيل النص)، ظنًّا أن مسألة الترتيب المتحققة من خلال العطف تكفي لإيضاح هذه الوظيفة، إلا أن الأنسب استخدام مصطلح (تشكيل النص)؛ لأن هذه الوظيفة تتحقق من خلال عناصر أخرى مثل المقابلة والإحالة الضميرية وغيرها.

وتظهر وظيفة (تشكيل النص) من خلال الإحالة الضميرية، أو ما يعرف بالتعالق الضميري، ذلك بأن يحوي نصٌّ عددا من الضمائر تحيل إلى لفظ إشاري واحد، يلم شمل النص، ويجمع مكوناته، ويرتب الأحداث فيه. يقول تعالى: ﴿وَإِلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها فَاستَغفِروهُ ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي قَريبٌ مُجيبٌ﴾ (هود61). فالمتأمل في الآية السابقة يدرك التشكيل الفريد فيها، حيث ورد العنصر الإشاري (الله) في بؤرة النص، ثم أحالت جمل النص إليه. وهذه الإحالات جعلت التراكيب متتابعة، يسير اللاحق منها في الطريق الذي سار فيه السابق.

وتسهم المقابلة في تشكيل النص من خلال ارتباط طرفي المقابلة ببعضهما، فوجود الطرف الأول من أطراف المقابلة يقتضي منطقيا وجود الطرف الثاني، وهذا يؤدي إلى تشكيل النص، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمّا جاءَ أَمرُنا نَجَّينا شُعَيبًا وَالَّذينَ آمَنوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنّا وَأَخَذَتِ الَّذينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةُ فَأَصبَحوا في دِيارِهِم جاثِمينَ﴾ (هود94)، فعند معرفة مصير المؤمنين من قوم شعيب تتطلع النفس إلى معرفة مصير الظالمين منهم.

ويؤدي الترتيب الزمني داخل النص إلى تشكيل النص،

وأبرز أداتين تحققان الترتيب الزمني هما (ثم، والفاء) العاطفتان، فالمعنى الأصيل لهما الترتيب، رغم الاختلاف بينهما في زمن الترتيب كما هو مشهور. من ذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ يا نوحُ اهبِط بِسَلامٍ مِنّا وَبَرَكاتٍ عَلَيكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثُمَّ يَمَسُّهُم مِنّا عَذابٌ أَليمٌ﴾ (هود48). فحرف العطف (ثم) عطَفَ بين جملتين هما (سنمتعهم) و(يمسهم)، مرتِّبا بينهما ترتيباً زمنياً.

بقي أن نسلط الضوء على قضية لافتة، وهي وظيفة واو العطف في الدراسة النصية، فمن المعلوم أن الواو العاطفة تفيد مطلق الجمع والمشاركة، كما أشار النحاة إلى ذلك. يقول الأنباري: "فإن قيل: ما الدليل على أن الواو تقتضي الجمع دون الترتيب؟ قيل: الدليل على ذلك قوله تعالى: "وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطّة" (البقرة 58)، وقال في موضع آخر: "وقولوا حطّة وادخلوا الباب سجدا" (الأعراف 161)، ولو كانت الواو تقتضي الترتيب لما جاز أن يتقدم في إحدى الآيتين ما يتأخر في الأخرى" (الأنباري، 1999)

لكن المُتَتَبّع لاستخدام الواو العاطفة في بعض السياقات القرآنية يلحظ أنها أفادت معنى الترتيب، علاوة على المعنى الأصيل لها؛ من ذلك قوله تعالى في بدايات سورة النور: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾، فقد بدأت الآية الأولى بذكر (الزانية) ثم عطفت عليها كلمة "الزاني" باستخدام حرف (الواو)، بينما الآية التي تليها ابتدأت بالزاني، ومجيئهما بهذا الترتيب لأن "المرأة هي المادة التي نشأت منها الجناية؛ لأنها لو لم تُطمع الرجل ولم تومض له ولم تُمَكّنْه، لم يطمع ولم يتمكن، فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها، وأما الثانية: فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه؛ لأنه هو الراغب والخاطب، ومنه يبدأ الطلب"(الزمخشري، 1998)، فلو كانت الواو تفيد مطلق الجمع دون الترتيب لما قدم لفظ (الزاني) مرة وأخرها مرة؛ لأنه لن يصبح للتقديم قيمة وقتها.

ونلحظ وظيفة الترتيب باستخدام (الواو) العاطفة، في سورة هود، في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يا أَرضُ ابلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقلِعي وَغيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَاستَوَت عَلَى الجودِيِّ وَقيلَ بُعدًا لِلقَومِ الظّالِمينَ﴾ (هود44)، فواو العطف رتبت الأحداث في الآية، فقد بدأت الآية بـ(يا أرض ابلعي ماءك) لأن الأرض الأصلُ في الطوفان، ثم عطفت عليها (يا سماء أقلعي).

وأفادت الواو الترتيب في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الفَريقَينِ كَالأَعمى وَالأَصَمِّ وَالبَصيرِ وَالسَّميعِ هَل يَستَوِيانِ مَثَلًا أَفَلا تَذَكَّرونَ﴾ (هود24). فالآيات السابقة لهذه الآية تحدثت عن الكافرين، بعد ذلك تحدثت عن المؤمنين، ثم جاءت الآية بالترتيب الموافق للسياق السابق، مبتدأة بـ (الأعمى والأصم) وهما من صفات الكافرين، و(البصير والسميع) وهما من صفات المؤمنين.

الوظيفة الخامسة: التوسعة

المقصود بالتوسعة: ارتباط بعض الألفاظ والجمل ببعضها من خلال وجود علاقة تحكمها، مثل علاقة التضام، أو وجود عناصر موضحة لبعض الألفاظ المبهمة، مثل اسم الإشارة. وليس المقصود بوظيفة التوسعة هنا التوسعة الدلالية، وهي التي يحمل فيها اللفظ الواحد غير معنى، مثل لفظ الصيام.

وتتحقق التوسعة من خلال ارتباط جمل كثيرة في النص بجملة أساسية تعتبر بؤرةً في النص، وتعالج الفكرة الرئيسة فيه؛ ومثالها قوله تعالى في سورة هود: وَإِلى مَدينَ أَخاهُم شُعَيبًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلـهٍ غَيرُهُ وَلا تَنقُصُوا المِكيالَ وَالميزانَ إِنّي أَراكُم بِخَيرٍ وَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ مُحيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيا قَومِ أَوفُوا المِكيالَ وَالميزانَ بِالقِسطِ وَلا تَبخَسُوا النّاسَ أَشياءَهُم وَلا تَعثَوا فِي الأَرضِ مُفسِدينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيرٌ لَكُم إِن كُنتُم مُؤمِنينَ وَما أَنا عَلَيكُم بِحَفيظٍ ﴿٨٦﴾، فبؤرة النص هي (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)، وقد جاءت الجمل التي بعدها متصلة بها، فجملة (ولا تنقصوا المكيال...) وغيرها من أمور المعاملات وجه من وجوه عبادة الله تعالى، حتى الحوار الذي دار بين شعيب عليه السلام وقومه في الآيات داخل القصة يمثل توسعة لبؤرة النص؛ لأن الحوار كله يعالج مسألة (اعبدوا الله) المشكّلة لبؤرة النص.

وما قيل في المثال السابق يقال في بقية قصص الأنبياء في سورة هود، والأكثر من ذلك، أن كل قصص الأنبياء في السورة توسعة لقوله تعالى في بداية السورة: أَلّا تَعبُدوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّني لَكُم مِنهُ نَذيرٌ وَبَشيرٌ ﴿٢﴾، فهي تمثل بؤرة السورة.

وتتحقق وظيفة التوسعة في النص من خلال ورود بعض الألفاظ في نص، وتفصيل هذه الألفاظ في مواضع أخرى من النص، من ذلك لفظة (أممٌ) في قوله تعالى: ﴿قِيلَ يا نوحُ اهبِط بِسَلامٍ مِنّا وَبَرَكاتٍ عَلَيكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثُمَّ يَمَسُّهُم مِنّا عَذابٌ أَليمٌ﴾ (هود٤٨) فعبارة (وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) توسعت دلالتها بعد ذكر قصص الأنبياء التالين لنوح عليه السلام في سورة هود.

وتبرز وظيفة التوسعة في اسم الإشارة، خصوصا في الإحالة بعيدة المدى، وذلك إذا أحال اسم الإشارة إلى مقطع أو مقاطع من السورة القرآنية؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿الر تِلكَ

آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ (يوسف1). فاسم الإشارة (تلك) يشير إلى الآيات التي بعده في السورة، وتوجد هذه الآيات في كل موضعٍ من السورة.

وتتحقق وظيفة التوسعة بوساطة إجراء التضام المعجمي بين الألفاظ، ولإدراك العلاقة التي تجمع أطراف التضام لا بد لنا من معرفة أطراف التضام، وذلك من خلال النظر في النص ورصد تلك الأطراف، يقول الله تعالى: وَلَقَد أَرسَلنا نوحًا إِلى قَومِهِ إِنّي لَكُم نَذيرٌ مُبينٌ ﴿٢٥﴾... وَإِلى عادٍ أَخاهُم هودًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلـهٍ غَيرُهُ إِن أَنتُم إِلّا مُفتَرونَ ﴿٥٠﴾...وَإِلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلـهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها فَاستَغفِروهُ ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي قَريبٌ مُجيبٌ ﴿٦١﴾. فأسماء الأنبياء في الآيات السابقة تجتمع تحت علاقة النبوة، وقد اتسعت هذه العلاقة بسبب انتشار أطرافها في أجزاء متباعدة من السورة.

وينبغي التنبيه آخرا على أن الوظائف الخمس السابقة، تمثل وظائف عامة للاتساق، وسأشير في الجانب التطبيقي إلى وظائف أخرى للاتساق، من خلال تحليل بعض المقاطع من (سورة هود)، ودراستها دراسة اتساقية.

الدراسة التطبيقية

توطئة:

أولاً: بين يدي الدراسة التطبيقية:

يقصد البحث في هذا الفصل إلى إبراز آليات الاتساق في مقاطع من سورة هود من خلال البحث عن عناصر الاتساق بين الجمل الصغرى والجمل الكبرى المشَكِّلة لنص سورة هود، مع محاولة إبراز العناصر الاتساقية التي تصل بين المقاطع التي تتشكل منها السورة.

ويتمثل التحليل الاتساقي للسورة في النظر إلى العناصر الظاهرة والبارزة في النص، على أن ذلك لا يهمل الدلالات الكامنة وراء هذه العناصر؛ لفهمها بصورة أفضل وأعمق؛ لمعرفة أسرار النصوص ومعرفة بواطنها وبواعثها، فالعلاقة بين البنى السطحية والبنى العميقة من أهم الأسس التي يمكن الإفادة منها في تحليل النصوص وفهمها فهما صحيحا. كما أن هذه العلاقة هي إحدى أُطُر عملية الإبداع. وهي تختلف من نص لآخر.(ينظر: ستيتيه، 2003).

واخترت، للتطبيق، الآيات الخمس الأولى، بوصفها البؤرة التي تنطلق منها السورة، وقد بينت من خلال الجداول العناصر الاتساقية في هذه الآيات، وأردفتها بتوضيح لآليات الاتساق ووظائفه. ثم اخترت قصة هود أنموذجا للتحليل المقطعي، في محاولة للربط بين هذا المقطع وبين بؤرة النص.

1. وبما أن الدراسة ركزت على الجداول الوصفية بصورة أساسية كان لا بد من توضيح بعض الرموز الواردة في الجدول:
   - (ج): وتعني: جملة.
   - (؟): توضع مكان العنصر المحذوف.
   - (/): توضع اختصارا للفصل بين عنصرين.
   - تم وضعُ الضمائر المتصلة داخل قوسين() لتمييزها عن الكلمة المتصلة بها.

ثانياً: بين يدي سورة هود:

مما تقتضيه دراسة سورة هود الإشارةُ إلى موقعها على خريطة الخطاب القرآني تَبعاً لترتيب النزول وترتيب التلاوة، وكذلك محاولة الوقوف على مقصد السورة (بؤرة النص) الذي تنطلق منه دوائر النص لترتبط به ولتتصل فيما بينها.

أمّا عن ترتيبها فقد نزلت بعد سورة يونس. وأما عن موقعها فهو الجزء الثاني عشر بين سورتي يونس ويوسف. وهي مكية بجملتهاعلى ما رواه ابن عباس قال: "سورة هود كلها مكية إلا قوله: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك" (أبو حيان، 2007) لكن الظاهر من هذه الآية مكيتها أيضًا؛ لأنها تمثل مرحلة معاناة النبي مع قريش، فهو ضائق الصدر بفعل كفار قريش من عناد وعدم طاعة ومطاردةٍ للنبي أينما ذهب، وهذه المعاناة بهذه الصورة كانت في مكة وليس في المدينة؛ ففي مكة كانت دعوة النبي محفوفة بالتكذيب والعناد، أما في المدينة فقد استقر المسلمون وقويت شوكتهم وانشغلوا بإنشاء الدولة.

وقد نزلت سورة هود في محنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد وفاة السيدة خديجة وأبي طالب عم الرسول، وسبقها جرأةُ المشركين على ما لم يكونوا يجرؤون عليه في حياة أبي طالب، (قطب، 2004).

أما عن سبب اختيار اسم نبي ليكون عنوانًا لها فهو أن قصة هود تتقاطع مع المحور العام للسورة، من حيث تشابهُ المواقف بين محمد وهود عليهما السلام. فقد وُصِفَ النبي هود عليه السلام بالجنون والتكذيب... وكذلك محمد عليه الصلاة والسلام. واتخذ قوم هود أصناماً كثيرة، ووضعوا لها أسماء وعبدوها من دون الله تقليداً للآباء وإصراراً على الذنب والكفر وجحوداً لفضل الله عليهم، وكان ذلك هو حال أهل مكة... كما أن قصة هود تشتمل على جلّ العناصر الرئيسة التي تحدثت عنها السورة من: الأمر بالعبادة، وإخلاص التوحيد، والتذكير بنعم الله، والحث على الاستغفار والتوبة، وقدرة الله وإحاطته بكل شيء، وعاقبة الإصرار على التكذيب والكفر، ووظيفة الرسول من البلاغ والإنذار...

مقدمة السورة (1-5)

دراسة وصفية تحليلية:

يتضمن المقطع الأول من السورة القضيةَ الأساسية التي تعالجها السورة، أو ما يسمى (بؤرة النص)، وبؤرة النص هي الحجر الأساس الذي يقوم عليه بناء النص كله من خلال قانون التوسعة. وبصورة أكثر دقة فإن بؤرة النص في سورة هود تضمنتها الآيات الأُول من السورة، وذلك قوله تعالى: الر كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ﴿١﴾ أَلّا تَعبُدوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّني لَكُم مِنهُ نَذيرٌ وَبَشيرٌ﴿٢﴾ وَأَنِ استَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ يُمَتِّعكُم مَتاعًا حَسَنًا إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤتِ كُلَّ ذي فَضلٍ فَضلَهُ وَإِن تَوَلَّوا فَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ كَبيرٍ﴿٣﴾. "وهذه البؤرة هي المعلم الأول في النص المؤسس لكل المعالم" (الزناد، 1993) فالجمل والمقاطع بعدها توسعة وتفصيل لها، وهذا ما يمكن نفيه أو إثباته بتتبّع أدوات الاتساق في النص، وربطها بالبؤرة الأساس.

ويستطيع المتتبع لمقاطع النص أن يتبين تركيزها على القضية الأساسية التي يعالجها النص، وهي التخفيف عن النبي عليه الصلاة والسلام، وحرصُه على هداية قومه حتى كادت نفسه تهلك بسبب عنادهم وإعراضهم، وذلك بعَرض بعض قصص الأنبياء في السورة لِبَثّ الطمأنينة في قلب الرسول حينما يعلم معاناة الأنبياء السابقين مع أقوامهم، ولعل هذا هو السبب في توحيد مقاطع بعض القصص في السورة من حيث البناء والتركيب. وعليه، تعدّ شخصية الرسول محمد عليه السلام، هي الشخصية المحورية في السورة التي حرص النص في كل أجزائه على الارتباط بها، ومما يدلل على ذلك أيضا أن كل شخصية في السورة مشابهة لشخصية محمد عليه السلام من حيث الرسالة الواحدة والتشابه في مواقف الأقوام منها، وهذا ما يفسّر عدم إيراد قصصِ بعض الأنبياء مثل داود وسليمان عليهما السلام، وذلك لعدم تقاطع قصصهما مع مقصد السورة الرئيس.

والإشارات الصريحة التي تشير إلى الرسول عليه السلام، منتشرة في ثنايا السورة وعلى امتدادها، بوساطة ضمائر الخطاب التي تحيل إلى الرسول إحالة خارجية، ولعل هذه الضمائر -وإن كانت تشير إلى خارج النص- أبرزُ وسيلة للاتساق النصي في سورة هود، نظرا لتوزعها في كل أنحاء السورة، فبعد عرض كل قضية في السورة يجد القارئ ضميرا أو أكثر يحيل إلى النبي عليه السلام بوصفه المقصود الأول بالخطاب القرآني والمبلغَ للرسالة السماوية.

وتُحقق الضمائر المحيلة إلى النبي عليه السلام تماسكا على مستوى الخطاب القرآني بوصفها تربط بين النص والمقام، إضافة إلى تحقيق الاتساق الداخلي بين الآيات من خلال إحالة كثير من الضمائر إلى مرجع واحد. وفي الآتي جدول تفصيلي لعناصر الاتساق في الآيات الخمس الأولى:

الآيات المعنية:

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الر ج1/ كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ ج2/﴿١﴾ أَلّا تَعبُدوا إِلَّا اللَّهَ ج3/ إِنَّني لَكُم مِنهُ نَذيرٌ وَبَشيرٌ ج4/﴿٢﴾وَأَنِ استَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ يُمَتِّعكُم مَتاعًا حَسَنًا إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤتِ كُلَّ ذي فَضلٍ فَضلَهُ ج5/ وَإِن تَوَلَّوا فَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ كَبيرٍ ج6/﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم ج7/ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ ج8/ ﴿٤﴾ أَلا إِنَّهُم يَثنونَ صُدورَهُم لِيَستَخفوا مِنهُ ج9/ أَلا حينَ يَستَغشونَ ثِيابَهُم يَعلَمُ ما يُسِرّونَ وَما يُعلِنونَ ج10/ إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ ج11 /﴿٥﴾

التحليل الاتساقي للآيات: (1-5).

يتضح من الجدول السابق أن العناصر الاتساقية في الآيات الخمس الأولى من السورة تتنوع إلى إحالة وعطف وحذف وتكرير وتضام. وهذه العناصر تعددت بين عناصر نحوية وعناصر معجمية، لتسهم جميعها في الاتساق بين الجمل المشكلة للنص.

ويُشار إلى أن كل جملة من الجمل السابقة تحوي عنصرا اتساقيا أو أكثر يربطها بغيرها من جمل النص، وأستعرض ذلك بالتفصيل، بما يأتي من كلام.

أولاً: الاتساق بوساطة إجراء الإحالة:

تتسق الآيات الخمس الأولى من السورة بوساطة عناصر الإحالة، وهذه العناصر تتنوع بين عناصر الإحالة المقامية (الخارجية)، وعناصر الإحالة النصية (الداخلية). وقد غلبت على الآيات الخمس السابقة الإحالاتُ المقامية؛ حيث ربطت عناصرُها بين النص وبين المقام الخارجي الذي يمثله الرسول عليه الصلاة والسلام من جهة، وبين مَن يوجَّه إليهم الخطاب القرآني من جهة.

الجدول (3)

الجدول الوصفي للآيات: (1–24)

رقم الآية	رقم الجملة	العنصر الاتساقي	نوعه	العنصر المفترض
1	1	الر	تكرير	الر، وغيرها من الحروف المقطعة في سور القرآن
	2	(؟) كتاب	حذف	هذا
		ثم فصلت	عطف	أحكمت
		فصلت	تضام	أحكمت(علاقة مطابقة)
		فصلت	إحالة قبلية	ءاياته
		حكيم	تكرير	أحكمت
2	3	(؟)ألا تعبدوا	حذف	أمركم
		تعبد(وا)	إحالة مقامية	المخاطبون من أمة محمد
	4	إنذ(ي)	إحالة مقامية	محمد عليه السلام
		لـ(كم)	إحالة مقامية	المخاطبون من أمة محمد
		منـ(ه)	إحالة قبلية	الله ج3
3	5	وأن استغفروا ربكم	عطف	ألا تعبدوا إلا الله ج3
		استغفر(وا)/ رب(كم)	إحالة مقامية	المخاطبون من أمة محمد
		ربكم	تكرير	الله ج3
		ثم توبوا إليه	عطف	استغفروا ربكم
		توبـ(وا)	إحالة مقامية	المخاطبون
		إليـ(ه)	إحالة قبلية	ربكم
		(؟)يمتعكم	حذف	إن استغفرتم ربكم ثم تبتم إليه
		يمتع/يؤت	إحالة قبلية	ربكم
		يمتعـ(كم)	إحالية مقامية	المخاطبون من أمة محمد
		ويؤت كل ذي فضل فضله	عطف	يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى
		فضلـ(ه)	إحالة قبلية	كل ذي فضل
	6	تولـ(وا)	إحالة مقامية	المخاطبون من أمة محمد
		تولوا(؟)	حذف	عن العبادة الاستغفار والتوبة
		ف(؟)إني	حذف	قل
		إنـ(ي)/أخاف	إحالة مقامية	الرسول
		عليـ(كم)	إحالة مقامية	المخاطبون من أمة محمد
4	7	الله	تكرير	الله ج3
		مرجعـ(كم)	إحالة مقامية	المخاطبون من أمة محمد
	8	هو	إحالة قبلية	الله ج7
		قدير	تضام	حكيم خبير ج2(صفات الله تعالى)
5	9	إنـ(هم)/يثنـ(و)ن/ صدور(هم)/ليستخفـ(وا)	إحالة مقامية	المخاطبون، أو المنافقون
		منـ(ه)	إحالة قبلية	الله ج7
	10	ألا	تكرير	ألا ج9
		يستغشـ(و)ن، ثيابـ(هم)	إحالة مقامية	المخاطبون أو المنافقون
		يعلم	إحالة قبلية	الله ج7
		يسر(و)ن، يعلن(و)ن	إحالة مقامية	المخاطبون أو المنافقون
		يعلنون	تضام	يسرون (علاقة مطابقة)

رقم الآية	رقم الجملة	العنصر الاتساقي	نوعه	العنصر المفترض
		يسرون	تكرير	ليستخفوا ج9 (ترادف)
		وما يعلنون	عطف	ما يسرون
	11	عليم	تكرير	يعلم ج10
		عليم	تضام	قدير ج8
		الصدور	تكرير	صدورهم ج9

والضمائر التي أسهمت في الربط بين النص والمقام هي: ضمائر المخاطبين: "تعبد(وا) ج3، لـ(كم) ج4، استغفر(وا) ج5، ربـ(كم) ج5، توبـ(وا) ج6، يمتع(كم) ج7، تولـ(وا) ج9، عليـ(كم) ج9، مرجع(كم) ج10"، وهذه الضمائر أسهمت في اتساق النص من خلال عودة تسعة ضمائر موزَّعة في أجزاء النص إلى عنصر إشاري واحد، هو (المخاطبون)، وهذا يدل على أهمية من عادت إليهم الضمائر ومدى اهتمام النص بهم.

والضمائر التي تحيل إلى (الرسول) هي: "إننـ(ي) ج4، إنـ(ي) ج9، أخاف ج9". ورغم أن لفظ (الرسول) عنصر غير لغوي بوصفه جزءا من المقام الخارجي، إلا أن الضمائر المحيلة إليه أسهمت في اتساق النص من خلال إحالتها إلى عنصر إشاري واحد، وتظهر وظيفة هذه الضمائر في تأكيد الرسالة التي يؤديها الرسول عليه السلام المتمثلة في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعبُدوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّني لَكُم مِنهُ نَذيرٌ وَبَشيرٌ﴾ (هود2)، وهذه هي الوظيفة العامة للرسول، وقد سيقت الآيات والقصص في باقي السورة لتؤكد هذه القضية العظمى، بمعنى أن الآيات التي بعد الآية السابقة تحقق وظيفة التوسعة في النص؛ لأنها تتصل ببؤرة النص.

وقد أسهمت عناصر الإحالة المقامية في اتساق النص من خلال وظيفة الاقتصاد اللغوي الذي حققته؛ فهي تختصر كثيرا من المفردات وتستعيض عنها بعناصر إحالية، وهذه العناصر تحيل القارئ إلى أماكن متنوعة من النص أو المقام؛ للبحث عن العنصر الإشاري المحال إليه.

وبرزت في الآيات وظيفة (تشكيل النص) بصورة ملحوظة، خصوصا في الآية الخامسة، في قوله تعالى: أَلا إِنَّهُم يَثنونَ صُدورَهُم لِيَستَخفوا مِنهُ أَلا حينَ يَستَغشونَ ثِيابَهُم يَعلَمُ ما يُسِرّونَ وَما يُعلِنونَ إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ﴿٥﴾، فلو تتبعْنا الضمائر التي تحيل إلى المخاطَبين في الآية لوجدناها ثمانية ضمائر هي: "إنـ(هم) ج12، يثنـ(و)ن ج12، صدور(هم) ج12، ليستخف(وا) ج12، يستغش(و)ن ج13، ثيابـ(هم) ج13، يسر(و)ن ج13، يعلنـ(و)ن ج13"، وقد أسهمت هذه الضمائر بتشكيل النص من خلال توزّعها في آية واحدة، وإحالتها إلى عنصر إشاري واحد.

والإحالات المقامية في الآيات الخمس السابقة أدخلت عنصرين إشاريين جديدين في السورة هما: (الرسول، والمخاطبون). ودخول هذه العناصر المقامية مهَّد لدخول الإحالات النصية، وهو تدرّج للدخول في أحداث السورة، بوصفها عناصر نصية تنقل الأحداث من المقام إلى النص.

وعناصر الإحالة النصية تعددت في الآيات السابقة، كما هو موضح في الجدول، محققة وظيفة الربط من جهة، ووظيفة الاقتصاد اللغوي من جهة أخرى. أيضا ظهرت وظيفة الترتيب في الآيتين الرابعة والخامسة؛ حيث ذُكِر العنصر الإشاري في بداية الآية وهو لفظ الجلالة (الله)، ثم أحيل إليه بأربعة ضمائر هي: "هو ج11، منـ(ه) ج12، يعلم ج13، إنـ(ه) ج14"، يقول تعالى: إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴿٤﴾أَلا إِنَّهُم يَثنونَ صُدورَهُم لِيَستَخفوا مِنهُ أَلا حينَ يَستَغشونَ ثِيابَهُم يَعلَمُ ما يُسِرّونَ وَما يُعلِنونَ إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ﴿٥﴾.

ثانياً: الاتساق بوساطة إجراء العطف:

ترتبط الآيات الخمس السابقة بوساطة إجراء العطف؛ فقد ورد للعطف في الآيات حرفان، هما: (ثم، والواو). وتَظْهر وظيفةُ هذين الحرفين في الربط بين الجمل وبين المفردات، إضافة إلى الدور التنظيمي الذي يحدثانه في النص؛ فقد تكرر حرف العطف (ثم) مرتين، محققا وظيفة الربط بين الجمل الفعلية في النص، إذ عُطفت جملة فصلت ج2) على جملة (أحكمت آياته ج2) في الآية الأولى، محققةً، إلى جانب وظيفة الربط، وظيفةَ الترتيب مع المهلة. وعُطفت جملة (ثم توبوا إليه ج6) على جملة (وأن استغفروا ربكم ج5).

وقد اتسقت الآيات بوساطة حرف العطف (الواو)، سواء في العطف بين الجمل أم في العطف بين المفردات. من ذلك، الربطُ الذي أحدثته الواو العاطفة بين جملة (وأن استغفروا ج5) وجملة (ألا تعبدوا ج3)؛ فبعدَ أن أمرَ الله عبادَه أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا، أمرهم أن يستغفروه من ذنوبهم. ويقال في باقي أمثلة العطف في الآيات ما قيل في الأمثلة السابقة.

ثالثاً: الاتساق بوساطة إجراء الحذف:

ترتبط الآيات السابقة اتساقيا بوساطة إجراء الحذف، وذلك من خلال ملء الفراغات التي تنتج عن الحذف. ففي قوله تعالى: (كتاب أحكمت...ج2)، جاء لفظ (كتاب) نكرةً، وهو في الآية خبر لمبتدأ محذوف، تقديره هذا أو ذاك، وحذفُ اسم الإشارة هنا الذي هو المبتدأ، يأتي في سياق استغناء القرآن عن الإشارة إليه، فالقرآن ليس مجهولا لدى السامعين، أيضا، الوصول إلى الخبر مباشرة فيه إشارة إلى علو منزلة القرآن وسمو مكانته. والحذف يربط بين المذكور والمحذوف في النص، من خلال وجود علاقة بينهما.

وثمة حذف في الآية الثانية هو حذف جملة، تقديرها (أمركم)، أي: أمركم ألا تعبدوا إلا الله، ويُهتدى إلى هذا الحذف من خلال ورود جملة (ألا تعبدوا...) متصدرة بداية الآية، ومن يُنعم النظر يدرك أن ثم عنصرا محذوفا في الآية يُملأ بتقدير جملة (أمركم) قبل جملة (ألا تعبدوا).

ومن أنماط حذف الجملة، حذفُ جملة فعل الشرط، كما في الآية الثالثة: وَأَنِ استَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ يُمَتِّعكُم مَتاعًا حَسَنًا إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤتِ كُلَّ ذي فَضلٍ فَضلَهُ وَإِن تَوَلَّوا فَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ كَبيرٍ﴿٣﴾، وتقدير الجملة المحذوفة: إن استغفرتم ربكم ثم تبتم إليه يمتعكم متاعا حسنا. وقد حقق الحذف في الأمثلة السابقة وظيفة الاقتصاد اللغوي، من خلال الاستغناء عن بعض الأبنية اكتفاء بما يدل عليها.

رابعاً: الاتساق بوساطة إجراء التكرير:

بدأت الآية الأولى من سورة هود بالحروف المقطعة، يقول الله تعالى: الر كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ﴿١﴾، وقد وردت هذه الحروف في بدايات سور متعددة في كتاب الله تعالى، وتعد هذه الحروف تكريرا لغيرها من الحروف المقطعة في بعض سور القرآن، وتظهر وظيفة هذه الحروف في الربط بين سورة هود وبين غيرها من سور القرآن التي بدأت بمثل هذه الحروف؛ لتؤكد – من خلال تكريرها– أن القرآن المعجِز مكوّنٌ من هذه الحروف، فهي مادته الأصيلة التي نسج منها، وفي هذا التكرير تحدٍّ مباشر للعرب أن يأتوا بنص يشبه هذا النص المعجز الذي تكوّن من هذه الحروف.

وقد أسهم التكرير في المقطع السابق في اتساق الآيات من خلال وظيفتي الربط والتوكيد؛ فقد أحدثت كلمة (عليم ج11) ربطا مع الفعل (يعلم ج10)، وذلك من خلال تأكيد قضية رئيسة تتعلق بالإيمان، وهي أن الله يعْلم كلَّ ما يتعلق بالمخلوقات من حيثُ بدايتُها ومصيرُها، حتى إنه يعلم خلجاتِها وسكناتِها.

وأحدثت كلمة (الصدور) في قوله تعالى: "إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ ج11 ربطاً مع كلمة (صدورهم) السابقة لها في قوله تعالى: "أَلا إِنَّهُم يَثنونَ صُدورَهُم لِيَستَخفوا مِنهُ ج9"، من خلال تكريرها، لتؤكد الآية أن الله يعلمُ كل ما يحاك في الصدر.

وتكرر لفظ الجلالة في الآيات ثلاث مرات: (الله ج3)، (ربكم ج5)، (الله ج7)، وهذا التكرير، إضافة إلى الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى، يؤكد قضية الوحدانية التي يدعو إليها الرسول الأكرم محمد عليه الصلاة والسلام التي تمثل دعوة الأنبياء قبله.

خامساً: الاتساق بوساطة إجراء التضام:

ترتبط الآيات المعنية معجميا بوساطة إجراء التضام المعجمي الذي يربط الجمل على مستوى النص، فكلمات (حكيم ج2) و(خبير ج2) و(قدير ج11) و(عليم ج14)، المنتشرة في النص تجمعها علاقة واحدة، هي أنها صفات لله تعالى.

وتَظهر في الآيات علاقة المطابقة، ففي قوله تعالى: "إنني لكم منه نذير وبشير ج4"، ارتبطت كلمتا (نذير وبشير) معجميا بوساطة إجراء المطابقة، محدثة ربطا داخل الجملة. ومثلها قوله تعالى: "يسرون ويعلنون ج13".

ولما كانت الجمل في الآيات الخمس الأولى من السورة ترتبط مع بعضها بأكثر من رابط، فإن هذا يظهر الآياتِ متسقةً مع بعضها أشد الاتساق، ويزيد من اللُّحمة والحبك بين الآيات.

قصة هود، أنموذجا للتحليل المقطعي

قبل الكلام في قصة هود عليه السلام لا بد من الإشارة إلى أن قصة نوح عليه السلام التي سبقتها ترتبط بالقضية العامة التي تعالجها السورة، وهي التخفيف عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام مما قاساه من أذى قومه؛ وقصة نوح نموذجٌ لنبي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، رغم ذلك لم يؤمن من قومه إلا القليل، وقد اتسمت دعوة نوح بالاستعطاف والمحاورة والمناقشة مما يؤكد صبرَ نبي الله نوح على قومه، وفي هذا دعوة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام أن يتأسى به في دعوته، فلا يهلك نفسه حسرةً لعدم هدايتهم. وترتبط قصة نوح مع بؤرة النص، إذ جاءت تفصيلا للدعوة والعبادة والتبشير والإنذار، علاوة على ارتباطها بالآية الثانية عشرة من السورة، وهي قوله تعالى: فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعضَ ما يوحى إِلَيكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدرُكَ أَن يَقولوا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ كَنزٌ أَو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنتَ نَذيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ ﴿١٢﴾، فلست وحدك يا محمد تعاني هذه المعاناة في دعوة قومك، فإن أردت مثلا يُحتذى فانظر إلى نوح وما عاناه مع قومه، لكنه رغم ذلك ظل صابرا عليهم محاورا لهم إلى أن جاء أمر الله.

وبعدُ، فقد صار قوم نوح تاريخا يُقص، فالأكثر من قومه

هلكوا، والقلة منهم نجوا، واستُخلفوا في الأرض تحقيقا لوعد الله في عمارة الأرض، ثم أعقب قومَ نوح عادٌ قوم هود، وكانوا عتاة جبابرة ضخام الأجسام، فبعث الله لهم هودا عليه السلام، فهو أخوهم، تجمعه بهم أواصر القربى والدم، لكنه عندما كُلّف بالرسالة ودعوة التوحيد جُوبه بكل أنواع العناد والعداء، فصار القوم فريقين؛ فريقَ إيمان لا كفر فيه، وفريقَ كفر لا إيمان فيه. إلى أن جاءهم أمر الله فنُجّي المؤمنون، وأُهلك المتجبرون. وفي قصة هود مع قومه مثال لرسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، إذ تشابهت دعوتها وعناد قومهما.

وقصة هود، وقبلها قصة نوح، وغيرها من قصص الأنبياء في السورة، تشير إشارات ضمنية إلى أن محمدا سيفترق عن قومه، كحال الأنبياء قبله؛ لأن الكفر والإيمان لا يجتمعان في مكان واحد.

التحليل الاتساقي للآيات: (50–60):

التحليل المقطعي في القصة سيوضّح صفةَ ارتباط قصة هود بالمقاطع الأخرى، وسيبين كيف تسهم آيات القصة في خدمة القضية التي تعالجها السورة، لذلك كان من الأولى تحليل القصة باعتبار آياتها لا باعتبار العناصر الاتساقية فيها.

قوله تعالى: وَإِلى عادٍ أَخاهُم هودًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ إِن أَنتُم إِلّا مُفتَرونَ﴿٥٠﴾. بدأت قصة هود عليه السلام بإجراء العطف، ويعدّ العطف في بداية القصة مثالا على الاتساق المقطعي بين الأجزاء المشَكّلة للسورة؛ فقصة هود في السورة عُطفت على قصة نوح قبلها، بوساطة الواو العاطفة؛ إذ عُطفت جملة (وإلى عاد أخاهم هودا) في بداية القصة على جملة (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) في بداية قصة نوح، والذي يدلُّنا على العطف ورودُ العامل (أرسلنا) في قصة نوح، وحذفُه في قصة هود وباقي القصص في السورة. وأشير هنا إلى أن حذف العامل في جزء من الخطاب وروده في جزء سابق له، يحقق اتساقا في النص؛ إذ إن حذفه يؤكد اكتفاء المبنى بما ورد في مبنى سابق له، ووردَ مثلُ هذا الحذف في سورة هود في قوله تعالى: وَأُتبِعوا في هذِهِ لَعنَةً وَيَومَ القِيامَةِ بِئسَ الرِّفدُ المَرفودُ﴿٩٩﴾، فحُذفت كلمة (الدنيا) بعد اسم الإشارة (هذه) اكتفاء بورودها في آية متقدمة من السورة نفسها، وهي قوله تعالى: وَأُتبِعوا في هذِهِ الدُّنيا لَعنَةً وَيَومَ القِيامَةِ أَلا إِنَّ عادًا كَفَروا رَبَّهُم أَلا بُعدًا لِعادٍ قَومِ هودٍ﴿٦٠﴾، وتختلف كلمة (الدنيا) عن الفعل (أرسلنا)، فالأولى غير عاملة، والثاني عامل بما بعده.

وقد أحدث العطف اتساقا بين المقاطع المشكلة للسورة لطولِ الفصل بالجمل الكثيرة بين المتعاطفات. ويعد هذا العطف أشد العناصر الاتساقية ربطا للمقاطع المشكلة للسورة.

وتلا العطفَ في بداية قصة هود التكريرُ؛ ذلك من خلال تكرير الرسالة النبوية التي يحملها كل نبي لقومه، وهي في قصة هود: "اعبدوا الله مالكم من إله غيره"، وهذه الرسالة تكريرٌ لرسالة نوح لقومه "ألا تعبدوا إلا الله"، وتكريرٌ لرسالة محمد قبلها "ألا تعبدوا إلا الله"، ومثلُ هذا التكرير في بداية كل مقطع في السورة يجعلُ النصَّ القرآني في سورة هود مرتبطا أشدَّ الارتباط، يدلُّ أولُه على آخره، ويحيل بعضُه إلى بعض.

وقد ورد في بداية القصة اسمُ نبي الله هود عليه السلام، وفي قصة نوح ورد اسم نبي الله نوح في بدايتها، وفي بدايات السورة وردت ضمائرُ عدة تحيل إلى نبي الله محمد عليه السلام. ومثلُ هذا الورود لأسماء الأنبياء في بدايات القصص، مدعاةٌ للتلاحم والتعاضد وتحقيق الاتساق على المستوى المقطعي في السورة.

قوله تعالى: يا قَومِ لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجرًا إِن أَجرِيَ إِلّا عَلَى الَّذي فَطَرَني أَفَلا تَعقِلونَ﴿٥١﴾. ترتبط هذه الآية مع الآية (29) من السورة، وهي: وَيا قَومِ لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مالًا إِن أَجرِيَ إِلّا عَلَى اللَّهِ وَما أَنا بِطارِدِ الَّذينَ آمَنوا إِنَّهُم مُلاقو رَبِّهِم وَلكِنّي أَراكُم قَومًا تَجهَلونَ﴿٢٩﴾، فقد تكررت بِنية مقطعية كاملة وهي: "يا قوم لا أسألكم عليه مالا/أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني/الله"، ووظيفة التكرير في الآيتين السابقتين أن يزيح النبيُّ –أيّ نبي– عن قومه كلَّ الأوهام التي تتعلق بأي مَطْمَعٍ، إذ دعوتُهم خالصةٌ لله وحدَه، والدعوة إن كانت مشوبةً بالمطامع فإنها تعود على صاحبها بالخيبة، علاوةً على عدم تأثّر المخاطبين بها. والتكرير في الجزء السابق من الآية يعكس الإيمانَ المطلق عند أنبياء الله، فهم واثقون كل الثقة بما عند الله، وهذا يخدم القضية التي تعالجها السورة.

وترتبط هذه الآية مع الإطار العام للسورة؛ إذ فيها دعوة للنبي محمد بعدم الحزن والأسى إن قُوبل بمعارضة من قومه وشكوكٍ حول دعوته، لكن عليه أن يعلم أن وظيفته هي الإنذار، وأنه لا يبتغي أجرا على ذلك، فأجره عند الله تعالى.

قوله تعالى: وَيا قَومِ استَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ يُرسِلِ السَّماءَ عَلَيكُم مِدرارًا وَيَزِدكُم قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُم وَلا تَتَوَلَّوا مُجرِمينَ﴿٥٢﴾. ترتبط هذه الآية مع بؤرة النص ارتباطا مباشرا، تحديدا في قوله تعالى: وَأَنِ استَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ يُمَتِّعكُم مَتاعًا حَسَنًا إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤتِ كُلَّ ذي فَضلٍ فَضلَهُ وَإِن تَوَلَّوا فَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ كَبيرٍ﴿٣﴾، فقد تكررت الدعوة إلى الاستغفار والتوبة، بين هود ومحمد عليهما السلام، ويؤكّد التكريرُ هنا، حرصَ أنبياء الله على نجاة أقوامهم، وذلك من خلال دعوتهم إلى الرجوع إلى الله عز وجل. وقد ارتبطت الآيتان من خلال إجراء التضام المعجمي؛ فالآية الثالثة من

السورة تحدثت عن نتيجة التوبة والاستغفار وهي قوله: "يُمَتِّعكُم مَتاعًا حَسَنًا"، وهي نتيجة عامة، أما الآية التي نحن بصددها فقد خصصت هذا المتاع بإنزال المطر وزيادة القوة، وذلك قوله تعالى: "يُرسِلِ السَّماءَ عَلَيكُم مِدرارًا وَيَزِدكُم قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُم".

قوله تعالى: قالوا يا هودُ ما جِئتَنا بِبَيِّنَةٍ وَما نَحنُ بِتارِكي آلِهَتِنا عَن قَولِكَ وَما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنينَ﴿٥٣﴾. تُظهر هذه الآية عنادَ قوم هود وجدالَهم له وتمسكَهم بمعتقداتهم، حتى إنهم يصرحون بعدم الإيمان بما يدعو إليه نبيُّهم، ومثل هذه المعاني وردت في قصة نوح من السورة نفسها في قوله تعالى: قالوا يا نوحُ قَد جادَلتَنا فَأَكثَرتَ جِدالَنا فَأتِنا بِما تَعِدُنا إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ﴿٣٢﴾.

وقد وردت كلمة (بيّنة) في غير موضع من السورة؛ إذ وردت في المقطع الأول من السورة في قوله تعالى: أَفَمَن كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ وَيَتلوهُ شاهِدٌ مِنهُ وَمِن قَبلِهِ كِتابُ موسى إِمامًا وَرَحمَةً أُولئِكَ يُؤمِنونَ بِهِ وَمَن يَكفُر بِهِ مِنَ الأَحزابِ فَالنّارُ مَوعِدُهُ فَلا تَكُ في مِريَةٍ مِنهُ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّكَ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنونَ﴿١٧﴾، ووردت في المقطع الثاني من السورة، في قوله تعالى: قالَ يا قَومِ أَرَأَيتُم إِن كُنتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِن رَبّي وَآتاني رَحمَةً مِن عِندِهِ فَعُمِّيَت عَلَيكُم أَنُلزِمُكُموها وَأَنتُم لَها كارِهونَ﴿٢٨﴾، وتعني –في الموضعين– الطريقَ القويم، أي طريق الهداية، لكنها في قصة هود تعني الحجة والبرهان، وورودها في كل مقطع يسهم في اتساق السورة.

قوله تعالى: إِن نَقولُ إِلّا اعتَراكَ بَعضُ آلِهَتِنا بِسوءٍ قالَ إِنّي أُشهِدُ اللَّهَ وَاشهَدوا أَنّي بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ﴿٥٤﴾ مِن دونِهِ فَكيدوني جَميعًا ثُمَّ لا تُنظِرونِ﴿٥٥﴾. التخفيف عن النبي محمد عليه السلام يكون بعَرْض أحداث مشابهة للمواقف التي يتعرض لها، وفي الآيتين السابقتين واحد من هذه المواقف، وهو اتهام هود عليه السلام بالجنون، ويرتبط هذا مع مقصد السورة الرئيس، فقد اتهم النبي محمد عليه السلام بالجنون، وهذا التوافق في المواقف تسليةٌ للنبي عليه السلام، فلستَ وحدك يا محمد من اتُّهم بهذه الفِرية العظيمة، إنما اتُّهم بها غيرُك من الأنبياء.

ويَبرز في الموضع السابق موقف قوة وشدة في دعوة هود عليه السلام، بعدما كانت دعوته تتسم بالحوار والمناقشة، فهو يتحدى قومه أن يمكروا به، ولا يمهلوه. وهذا الأسلوب الدعوي ورد عند نوح عليه السلام، إذ قال: وَيَصنَعُ الفُلكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيهِ مَلَأٌ مِن قَومِهِ سَخِروا مِنهُ قالَ إِن تَسخَروا مِنّا فَإِنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرونَ﴿٣٨﴾فَسَوفَ تَعلَمونَ مَن يَأتيهِ عَذابٌ يُخزيهِ وَيَحِلُّ عَلَيهِ عَذابٌ مُقيمٌ﴿٣٩﴾، فهو يهددهم بعذاب الله الذي سيحل بهم، وهذه دعوة صريحة للنبي محمد عليه السلام، تبين له ملامح الدعوة النبوية؛ فهي تتسم باللين وخفض الجناح أحيانا، وتصلُ إلى مرحلة الشدة والتهديد إن دعت الحاجة.

قوله تعالى: إِنّي تَوَكَّلتُ عَلَى اللَّهِ رَبّي وَرَبِّكُم ما مِن دابَّةٍ إِلّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبّي عَلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴿٥٦﴾. تُظهر هذه الآية مدى ارتباط نبي الله هود بربه وإيمانه به، وترتبط هذه الآية مع آخر آية في السورة، وهي: وَلِلَّهِ غَيبُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَإِلَيهِ يُرجَعُ الأَمرُ كُلُّهُ فَاعبُدهُ وَتَوَكَّل عَلَيهِ وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلونَ﴿١٢٣﴾، وفي الآيتين دعوة لمحمد عليه السلام أن يتوكل على الله في كل شؤونه.

قوله تعالى: فَإِن تَوَلَّوا فَقَد أَبلَغتُكُم ما أُرسِلتُ بِهِ إِلَيكُم وَيَستَخلِفُ رَبّي قَومًا غَيرَكُم وَلا تَضُرّونَهُ شَيئًا إِنَّ رَبّي عَلى كُلِّ شَيءٍ حَفيظٌ﴿٥٧﴾. تعكس الآية الواجبَ المناطَ بكل داعية إلى الله، وهو الدعوة إلى الله، إذ الواجب على كل نبي أن يبلغ قومه رسالة ربه، وترتبط هذه الآية مع قوله تعالى: وَإِن تَوَلَّوا فَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ كَبيرٍ﴿٣﴾.

قوله تعالى: وَلَمّا جاءَ أَمرُنا نَجَّينا هودًا وَالَّذينَ آمَنوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنّا وَنَجَّيناهُم مِن عَذابٍ غَليظٍ﴿٥٨﴾. ذكرت سابقا أن التشابه في بعض المقاطع يدل على تشابه في المواقف، وتشابه في النتيجة، ففي قصة هود جاء العذاب لمعارضي دعوة هود بعد كل المحاولات التي قدمها لهم في سبيل هدايتهم، ومثل هذا القالب الشكلي ورد في قصة نوح في قوله تعالى: حَتّى إِذا جاءَ أَمرُنا وَفارَ التَّنّورُ قُلنَا احمِل فيها مِن كُلٍّ زَوجَينِ اثنَينِ وَأَهلَكَ إِلّا مَن سَبَقَ عَلَيهِ القَولُ وَمَن آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلّا قَليلٌ﴿٤٠﴾.

قوله تعالى: وَتِلكَ عادٌ جَحَدوا بِآياتِ رَبِّهِم وَعَصَوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعوا أَمرَ كُلِّ جَبّارٍ عَنيدٍ﴿٥٩﴾ وَأُتبِعوا في هذِهِ الدُّنيا لَعنَةً وَيَومَ القِيامَةِ أَلا إِنَّ عادًا كَفَروا رَبَّهُم أَلا بُعدًا لِعادٍ قَومِ هودٍ﴿٦٠﴾. الذين عصوا هودا عليه السلام في دعوته، هم الرؤساء والكبراء، وهذا ارتباط مع نوح عليه السلام، فقد عصاه أكابر القوم وسادتهم، كما هو واضح في قوله تعالى: وَيَصنَعُ الفُلكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيهِ مَلَأٌ مِن قَومِهِ سَخِروا مِنهُ قالَ إِن تَسخَروا مِنّا فَإِنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرونَ﴿٣٨﴾، وتتقاطع الآيتان مع الدعوة المحمدية، إذ كان عليه السلام مُعادىً من سادات مكة وكبرائها.

وآية ما سبق أن قصة هود عليه السلام تتشابك مع النسيج العام للسورة، خصوصا قصة محمد عليه السلام، ويتمثل ذلك في ما قاساه نبي الله هود من الأذى والتكذيب، حتى وصل الأمر إلى اتهامه بالجنون، وهذه التجربة تقترب من تجربة محمد عليه السلام.

ومهما يكن من أمر، فإن المقصود من الترابط بين

قصة هود وبين محور السورة العام، هو وجود نوع من الاتساق بين هذه القصة وبين جسم السورة، ولعل أبرز العناصر الاتساقية ظهورا في القصة هو التكرير؛ لأنه الأداة الأنسب للربط من مسافات متباعدة، ويسهم التكرير –في قصة هود– في خدمة النص القرآني من حيث ارتباطُه ببؤرة النص، سواء في تكرير بعض الأبنية التركيبية، أم في تكرير الأحداث المتشابهة بين الأنبياء.

واكتفى هذا البحث بالإشارات السابقة من السورة؛ لأنها تعد أنموذجا لباقي القصص في السورة، إذ تتقاطع جميعها مع الغرض الرئيس في السورة، وهو التخفيف عن النبي محمد عليه السلام.

الخاتمة

يمكن في نهاية البحث الموسوم بـ"الوظائف الاتساقية للروابط النصية" أن ندرك أن **نحو النص** مثل منهجاً جديداً في التعامل مع النص عموما، وذلك بنظرته الشمولية التي تجاوزت في حدودها نحو الجملة. خصوصا إذا علمنا أن تحليل النص اللغوي يبدأ بالنظرة إلى البنية الكاملة للنص ويمر بأطوار يصل بها إلى تجزيء النص ومحاولة ربط الأجزاء جميعها بالبنية الكلية للنص.

وقد خلص البحث إلى تحديد بعض الوظائف التي لها كبير علقة في تفسير صفة الاتساق في النص القرآني، ومن هذه الوظائف؛ الاقتصاد اللغوي، والتوسعة، والربط، والتوكيد، وتشكيل النص. وهي وظائف تدعونا لفهم النص القرآني فهما جديدا لا يقوم على تتبع المادة التاريخية واستقصائها حسبُ، بل من خلال الانطلاق من النص ذاته وتتبع جميع علاقات الاتساق النصي داخله من خلال ارتباطها ببؤرة النص أو مقصده الأساسي.

وتسهم دراسة أدوات الاتساق النصي للسورة القرآنية في الكشف عن علاقات متعددة بين مقاطع النص للوصول إلى فهم منسجم للنص، فضلاً عن تبيّن صفة استثمار النص القرآني الدقيق لقوانين الاتساق النصي ليظهر نصا واحداً متماسكاً ومتميزاً.

ولعل من أبرز ما خلصت إليه الدراسة الإدراك بأن السورة الواحدة تمثل في القرآن نصاً لغوياً محكماً تتصل فيه أجزاء النص، ويتماسك كل مقطع بما يجاوره بعناصر محكمة تذهب وتجيء لترتبط ببؤرة النص أو نقطة انطلاقه.

المصادر والمراجع

ابن طباطبا، م. (1982). عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص131.

ابن فارس، أ. (1997). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسين بسج، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص158.

ابن يعيش، ي. (د.ت): شرح المفصل، مصر: إدارة الطباعة المنيرية، (د.ط)، 1/ 91، 3/ 84.

أبو المكارم، ع. (1968). الظواهر اللغوية في التراث النحوي، ط1، القاهرة: المدينة للطباعة،1/ 325.

الآمدي، ح. (1972). الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، ط2، القاهرة: دار المعارف، ص425.

الأنباري، ع. (1999). أسرار العربية، تحقيق بركات هبود، ط1، بيروت: دار الأرقم. ص219.

الأندلسي، م. (2007). البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل عبد الموجود وعلي محمد معوّض، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 5/ 200–201.

البقاعي، إ. (1995). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج أحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1/ ص7. 3/ 521.

بوجراند، ر. (1988). النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 340.

الجرجاني، ع. (1992). دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط3، القاهرة: مطبعة المدني، ص 44–45، وص 85.

خطابي، م. (1991). لسانيات النص، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص21، ص24، ص5–6.

الزركشي، م. (1988). البرهان في علوم القرآن، خرج حديثه وقدم له مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3ص115.

الزمخشري، م. (1998). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 4/ 267.

الزناد، أ. (1993). نسيج النص، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، بيروت، ص118، ص121، ص67.

ستيتيه، س. (2003). منازل الرؤية، ط1، عمان: دار وائل للنشر، ص22–24.

سيبويه، ع. (1983). الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط3، عالم الكتب، ج1ص257.

السيوطي، ع. (1993). معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق على محمد البجاوي، القاهرة: دار الفكر العربي، ج3ص575.

الفقي، ص. (2000). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط1، القاهرة: دار قباء، ص95.

قطب، س. (2004). في ظلال القرآن، ط34، القاهرة: 4/ 1839-1840.

Haliday and Hasan. (1989). Language, context and text. Oxford University Press. P.48.

The Textual Functions of Aspects of Cohesion

Mouad H. Al-Zoubi*

ABSTRACT

The study of textual connections, the formal and semantic, is considered a basis upon which the researcher depends to understand the texts deeply, till the textual studies have become not possible without relying on these links. Further, this study means to study the consistency analysis in "Surat Hud" for presenting it as a model of applied textual studies in the Holy Qur'an. This analysis also shows the types of cohesion like reference, ellipsis, reiteration, collocation, etc. and shows how these things contribute to make the text of the Qur'an a harmonious unit.

Keywords: Surat Hud, Textual Functions, Cohesion.

* Languages Centre, University of Jordan، Jordan. Received on 18/02/2016 and Accepted for Publication on 10/04/2016.